الخطبة الأولى:

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي شَرَعَ الزَّوَاجَ وَجَعَلَهُ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ وَنَهَى عَنْ كُلِّ مَا يُعَرِّضُهُ لِلتَّفَكُّكِ وَالزَّوَالِ والنِقَم

" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً"فاتقوا الله تعالى يجعل لكم مخرجاً من كل ضِيق، ويرزقْكم من حيث لا تحتسبون، واشكروه على نعمه يزدكم، واستغفروه يغفر لكم.

عباداالله :

لقد حثَّ الإسلامُ على لمِّ شملِ أفرادِ المجتمعِ على جهةِ العمومِ والأسرةِ على وجهِ الخصوصِ، ودعَا إلى ربطِ أواصرِ الأرحامِ والمحبّين والأقربين، ولذا لم يردْ في القرآنِ الكريمِ لفظُ «الميثاقِ الغليظِ» سوى في ثلاثةِ مواضعَ:

أولهُمَا: في سياقِ الحديثِ عن النبيينَ قالَ تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾،

ثانيهُمَا: في ثنايَا الحديثِ عن مخالفةِ اليهودِ وصيدهِم يومَ السبتِ قالَ تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾،

ثالثهُمَا: في وصفِ عقدِ النِّكاحِ حيثُ قالَ اللهُ جلَّ وعلاَ: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾، وهذا يعطيكَ معنَى الإلزامِ والدوامِ والاستمرارِ، وتحقيقِ السكنِ والاستقرارِ، فرباطُ الزواجِ رباطٌ مقدسٌ يعسرُ نقضُهُ كالثوبِ الغليظِ يعسرُ شقُّهُ، ولذَا كان الأصلُ في عقدِ الزواجِ التأبيدَ لا التأقيت،ولقد اهتمَّ الإسلامُ بالأسرةِ اهتمامًا كبيرًا؛ لأنَّ الأسرةَ هي قوامُ المجتمعِ، وجعلَ الزواجَ بناءَ هذه الأسرةِ، وأحاطَهُ بسياجِ السكنِ والمودةِ والرحمةِ، وأخذَ الميثاقَ الغليظَ على الزوجينِ في استمراريةِ العلاقةِ الزوجيةِ، فقالَ تعالَى: {وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} ، يقولُ القاسميُّ: " وَأَخَذْنَ مِنكُم ميثَاقاً غَلِيظاً " أي : عهداً وثيقاً مؤكداً مزيدَ تأكيدٍ، يعسرُ معَهُ نقضُهُ، كالثوبِ الغليظِ يعسرُ شقُّهُ. وقالَ الزمخشريُّ: الميثاقُ الغليظُ حقُّ الصحبةِ والمضاجعةِ، ووصفَهُ بالغلظِ لقوتِهِ وعظمِهِ ".

وليس أبلغَ مِن التعبيرِ القرآنِي العظيمِ في وصفِ علاقةِ الزوجيةِ بكونِهَا [الميثاقُ الغليظُ]، وبمَا تعنيهِ الكلمةُ القرآنيةُ مِن بلاغةٍ وروعةٍ مِن العهدِ والقوةِ والتأكيدِ الشديدِ لأهميةِ الحفاظِ عليهِ والوفاءِ بهِ.

وقد جاءَ وصفُ هذا العقدِ بالميثاقِ الغليظِ في هذه الآيةِ الكريمةِ لقوتِهِ وعظمتِهِ ومدَى أهميتِهِ في بناءِ الأسرةِ، والميثاقُ الغليظُ يقتضِي الصحبةَ الصالحةَ، والمعاشرةَ بالمعروفِ، والتضحيةَ والبذلَ والوفاءَ والحبَّ والتفاهمَ، وفى ذلك إشارةٌ إلى قوةِ ومتانةِ هذا العقدِ الذي يعسرُ نقضُهُ، كالثوبِ الغليظِ الذي يعسرُ شقُّهُ أو تمزيقُهُ.

ولمتانةِ هذا الميثاقِ الغليظِ أخذَهُ اللهُ على أنبيائِهِ عليهمُ السلامُ، فقالَ تعالى: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا}.

وللحفاظِ على هذا الميثاقِ الغليظِ شُرِعَ الطلاقُ الرجعيُّ، حتى يكونَ هناك مهلةٌ وفرصةٌ للزوجينِ، وفي حالةِ الرجعةِ أو الطلاقِ لم يغفلْ الشرعُ الحكيمُ عن الالتزامِ بالمعروفِ وحسنِ المعاشرةِ في الحالين: حالِ الإمساكِ، وحالِ التسريحِ. قالَ تعالى: {الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ}.. " وعن ابنِ عباسٍ قال: إذا طلقَ الرجلُ امرأتَهُ تطليقتينِ، فليتقِ اللهَ في الثالثةِ، فإمَّا أنْ يمسكَهَا بمعروفٍ فيحسنُ صحبتَهَا، أو يسرحَهَا بإحسانٍ فلا يظلمهَا مِن حقِّهَا شيئًا".

أحبتي في الله :

قد جاءَ التحذيرُ عن سيدِ المرسلين فيمَن سعَى للتفرقةِ بينَ الزوجينِ دونَ سببٍ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ خبَّبَ امرأةً على زوجِهَا ولا مملوكًا على سيدِهِ»، بل حرمَ على المرأةِ التي تطلبُ الطلاقَ دونَ سببٍ مقنعٍ دخولَ الجنةِ؛ لما يترتبُ على فعلِهَا هذا ضياعُ الأسرةِ، وتشريدُ الأطفالِ فعَنْ ثَوْبَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقًا مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الجَنَّةِ» ولا يفرحُ إبليسٌ بِشَيءٍ كفرحِهِ

بالطَّلَاقِ، وإحداثِهِ الفرقةَ والشقاقَ، قَالَ ﷺ: «إنَّ إبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ» فانظرْ رحمنِي اللهُ وإياكَ كيفَ أنَّ الشيطانَ يفرحُ بالتفرقةِ بينَ الزوجينِ، ولا يُبالِي بما سُواهَا مِن الفتنِ.

أحبتي في الله :

لقد سمَّى اللهُ عزَّ وجلَّ إحدى سورِ القرآنِ الكريمِ ب «سورةِ الطلاقِ» والسرُّ يتلخصُ في أنَّ اللهَ سهَّلَ طريقَ الزواجِ، ولم يصعبْهُ على الإنسانِ، بينما شدّدَ في الطلاقِ، وبيَّنَ أحكامَهُ مفصلةً، وحذّرَ، منهُ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ الطَّلَاقُ» لأنَّهُ يترتبُ عليه خرابُ البيوتِ التي كانتْ تقومُ على المودةِ والرحمةِ، وضياعُ الأسرةِ التي قد يستمرُ تأسيسُهَا لسنواتٍ طوال، وكفاحٍ موصولٍ بالليلِ والنهار، فناسبَ أنْ يجعلَ اللهُ له سورةً بمثابةِ جرسِ إنذارٍ لمَن يفكرُ أو يخطرُ ببالِهِ الإقدامَ على هذا الأمر، وليكنْ إقدامُهُ هذا مشفَّعًا بآدابِ الإسلامِ، وأخلاقِ سيدِ الأنامِ، ولذَا عندمَا تتأملُ سياقَ الآياتِ التي وردَ فيها الحديثُ عن الطلاقِ «في سورِ البقرةِ، النساءِ، الطلاقِ» تجدُ فيها أنَّ اللهَ – عادةً- ما يتبعُ ذلك بالحديثِ عن خُلقِ المعروفِ والإحسانِ، وعدمِ نسيانِ الوقوفِ أمامَ الديانِ يومَ القيامةِ؛ ليسألَ الإنسانَ عما قدمتْ يداهُ، وليرشدَ العبدَ أنْ يكونَ فراقُهُ فراقًا جميلًا عن طيبِ نفسٍ، وسلامةِ قلبٍ، ولا ينسَ ما كان بينهما مِن عشرةٍ ومحبةٍ، إذ هذا أبقَى للوصالِ خاصةً إذا كان ثمةَ أطفالٍ بينهُمَا .

أحبتي في الله:

لقد حمَى الشارعُ الحكيمُ عقدَ الزواجِ، وحصّنَهُ بجملةٍ من الأوامرِ والتوجيهاتِ، وأرشدَ الأزواجَ إلى جملةٍ من الآدابِ والنصائحِ التي بها يعبرانِ سفينةَ الحياةِ، ولكن قد «تَجْرِي الرِّيَاح بِمَا لاَ تَشْتَهِي السُّفُن»، فتطرأُ على الحياةِ الزوجيةِ بعضُ المنغصاتِ التي تُهددُ بنيانَهَا، وتهدمُ أركانَهَا، ومن المعلومِ أنّ علاجَ أيِّ ظاهرةٍ أو دواءَ أيِّ مشكلةٍ هو تحديدُ أسبابِهَا، وتشخيصُ دائِهَا؛ ليأتِيَ المُشخِّصُ بالعلاجِ الناجعِ، والدواءِ النافعِ، ومِن أهمِّ أسبابِ ظاهرةِ الطلاقِ:

أولًا: سوءُ الاختيارِ: إنَّ الشابَّ الذي يقدمُ على الزواجِ يجعلُ جُلَّ اهتمامِهِ في اختيارِهِ لشريكةِ حياتِهِ ينصبُّ على جملةٍ من المقاييسِ النسبيةِ التي تختلفُ مِن إنسانٍ لآخر، لكنْ ضبطَهَا رسولُنَا ﷺ بقولِهِ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ» (متفق عليه)، فحددَ ﷺ أهمَّ الأُسسِ التي بها يختارُ الإنسانُ شريكَ حياتِهِ «الخُلقُ، المالُ، الحسبُ، الجمالُ»، وكذا الفتاةُ تحلمُ بفارسٍ يحققُ لها ما تتمناهُ دونَ النظرِ هل هو كفءٌ لها أمْ لا ؟ مع العلمِ بأنَّ الكفاءةَ في الزواجِ معتبرةٌ عندَ الفقهاءِ – وهو قولٌ للشافعيةِ والحنفيةِ – من الناحيةِ الاقتصاديةوالثقافيةِ والاجتماعيةِ وغيرِهَا، ففي هذا بقاءٌ لاستمرار عشِّ الزوجيةِ، وهناءٌ للحياةِ الأسريةِ. ومن أجلِ الفوزِ بتلك الأحلامِ، يهملُ الشابُ أو الفتاةُ تلك الاعتبارات، ويحلقُ بعيدًا عن هذه الضوابطِ، فيحملُهُ أحيانًا لتجميلِ صورتِهِ في نظرِ مخطوبتِهِ أنْ يكذبَ عليها، أو يداري بعضَ عيوبِهِ، أو يغطِّي بعضَ مثالبِهِ التي لو صرّحَ بها لرفضتْهُ ولم تقبلْهُ، ثم بعدَ الزواجِ تُكشَفُ العيوبُ، ويظهرُ المخبوءُ، وتُرفَعُ الستورُ والحجبُ، فيصطدمَا بما لم يكنْ في حسبانِهِمَا، فيَكثُرُ العراكُ، وتتعالَى الأصواتُ، ويبوحَا بالشكوى والعتابِ، فلا يجدَا بُدًّا من الفراقِ والطلاقِ.

ثانيًا: عدمُ تحملِ الزوجين لبعضِهِمَا، وسوءُ فهمِ طبيعةِ كلٍّ منهما: إنَّ بعضَ الأزواجِ يقفُ بالمرصادِ تجاهَ الآخرِ، فلا يغفرُ ذلةً، ولا يقيلُ عثرةً، ولا يسترُ عورةً، يغضبُ مِن أدنَى شيءٍ، فهما يريدانِ الكمالَ من بعضِهِمَا؛ وكأنهُمَا ليسَا بشرًا، ولم يُكتَبْ عليهما الخطأُ والزللُ، مع أنَّ هذا جهلٌ مطبقٌ بالطبيعةِ الإنسانيةِ التي لا مفرَّ ولا محيصَ عنها ألا وهي ارتكابُ الذنبِ ثم التوبةُ والرجوعُ إلى علامِ الغيوبِ، وصدقَ ﷺ حيثُ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ» (ابن ماجه)، فالرجلُ جهلَ أنَّ المرأةَ تتحكمُ فيها العاطفةُ والمشاعرُ، فبكلمةٍ يكسبُ ودَّهَا، ويسكنُ غضبُهَا، ويهدأُ بالُهَا، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْمَرْأَةُ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ أَعْوَجَ وَإِنَّكَ إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإِنْ تَرَكْتَهَا تَعِشْ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ» (الحاكم وصححه ووافقه الذهبي)، كيفَ تستقيمُ الحياةُ بينهُمَا وهمَا في صراعٍ دائمٍ لا ينقطعُ، ونزاعٍ موصولٍ لا يزولُ، فليتنازلْ الرجلُ عن كبريائِهِ، والمرأةُ عن

عنادِهَا، وتأملْ قولَ اللهِ تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثِيراً وَنِساءً﴾ تجد فيه دلالةً على أنَّ المرأةَ خُلقتْ من طِينةِ الرجلِ، فيهَا ما فيهِ مِن ضَعْفٍ ونقصٍ وخطأٍ، فلا ينبغِي أنْ يفترضَ فيها الكمالُ، والأمرُ كذلك بالنسبةِ له، إنَّهُمَا من الطِّينةِ ذاتِها .

ثالثًا: الغيرةُ المذمومةُ وإفشاءُ الأسرارِ: إنَّ مِن أقوى أسبابِ الطلاقِ عاملَ الغيرةِ المذمومةِ التي هي مبنيةٌ على الشكِّ والريبةِ دونَ دليلٍ قاطعٍ، فيتولدُ عنها انعدامُ الثِّقةِ بينَ الزوجينِ، وربَّمَا دفعَتْ الغيرةُ الشخصَ ليعملَ أعمالًا طائشةً صبيانيةً، ولذِا ذمَّ رسولُنَا هذا النوعَ من الغيرةِ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَمِنْهَا مَا يَكْرَهُ اللَّهُ، فَأَمَّا مَا يُحِبُّ اللَّهُ، فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ، وَأَمَّا مَا يَكْرَهُ، فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ» ، كما أنَّ إفشاءَ أسرارِ البيوتِ والعلاقاتِ الزوجيةِ – خاصةً على مواقعِ التواصلِ الاجتماعي- لهو أمرٌ غيرُ محمودٍ على الإطلاقِ، فكمْ مِن بيتٍ خُرِّبَ، وكمْ مِن أُسرٍ شُرِّدتْ بسببِ ذلك، إنَّ أسرارِ العلاقةِ الزوجيةِ بكلِّ أشكالِهَا وأحوالِهَا يجبُ أنْ تكونَ حبيسةَ البيتِ والنفسِ ولا تخرجْ عن ذلك بحالٍ فعَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»

رابعاً:مَا تُثِيرُهُ وَسَائِلُ الإِتِّصَالِ الحَدِيثَةِ مِنْ فِتَنٍ وَشُكُوكٍ وَسُوءِ ظَنٍّ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ وَكَذَلِكَ كَثْرَةُ تَذَمُّرِ الزَّوْجَيْنِ مِنْ اِنْشِغَالِ كُلِّ طَرَفٍ بِهَذِهِ الأَجْهِزَةِ عَنِ الآخَرِ وإِهمَالُ وَاجِبَاتِهِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "دع ما يَرِيبكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ فإنَّ الصِّدقَ طُمأنينةٌ وإنَّ الكذبَ رِيبةٌ"

خامساً:سُوءُ الْعِشْرَةِ بِأَنْ يُعَامِلَ أَحَدُ الزَّوْجَيْنِ الآخَرَ مُعَامَلَةً سَيِّئَةً سَوَاءٌ كَانَتْ إِسَاءَةً لَفْظِيَّةً أَوْ فِعْلِيَّةً

سادساً:جَهْلُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الزَّوْجَيْنِ بِحُقُوقِهِ وَوَاجِبَاتِهِ وَلَوْ عَلِمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الزَّوْجَيْنِ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ فَأَدَّاهَا وَمَا لَهُ مِنَ الْحُقُوقِ فَلَا يَتَجَاوَزُهَا لَقُضِيَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْخِلَافَاتِ وَاسْتَقَامَتْ حَيَاتُهُمَا

سادساً:الْخِلَافَاتُ الْمَالِيَّةُ فَإِمَّا كَونُ الزَّوْجِ غَيْرَ قَادِرٍ

عَلَى الْإِنْفَاقِ لِضَعْفِ كَسْبِهِ وَسُوءِ تَدْبِيرِهِ أَوْ كَانَ بَخِيلاً عَلَى أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ أَوْ كَانَ كَسُولًا لَا يَعْمَلُ أَوْ لَا يَسْعَى فِي زِيَادَةِ دَخْلِهِ أَوْ كَانَتِ الزَّوْجَةُ مُتَطَلِّبَةً فَتُرْهِقُهُ وَتُكْثِرُ التَّشَكِّيَ وَالتَّذَمُّرَ فَتُضْجِرُهُ وَتُغْضِبُهُ حَتَّى يُطَلِّقَهَا وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾

سابعاً:عَدَمُ قُدْرَةِ الزَّوْجِ عَلَى التَّوْفِيقِ بَيْنَ حُقُوقِ زَوْجَتِهِ عَلَيْهِ وَحُقُوقِ وَالِدَيْهِ وَأَخَوَاتِهِ وَلَا سِيَّمَا إِذَا نَشِبَ صِرَاعٌ بَيْنَ النِّسَاءِ سَبَبُهُ الْغَالِبُ الْغَيْرَةُ وَحُبُّ السَّيْطَرَةِ

ثامناً:سَلَاطَةُ اللِّسَانِ وَسُوءُ الْأَخْلَاقِ وَإِسَاءَةُ الْعِشْرَةِ وَهَذَا يَكُونُ مِنَ الرَّجُلِ وَمِنَ الْمَرْأَةِ

تاسعاً:نُشُوزُ الزَّوْجَةِ وَعِصْيَانُهَا وَتَمَرُّدُهَا عَلَى طَاعَةِ زَوْجِهَا وَظَاهِرَةُ تَمَرُّدِ النِّسَاءِ زَادَتْ فِي الْآوِنَةِ الْأَخِيرَةِ بِسَبَبِ دُعَاةِ الإِبَاحَةِ وَالشُّذُوذِ وَالْفَوَاحِشِ

أَحِبَتِي فِي اللهِ:

لِقَدْ وَضَعَ الإِسْلَامُ حُلُولًا لِلمَشَاكِلِ الزَّوْجِيَّةِ قَبْلَ الطَّلَاقِ مِنْها النَّصِيحَةُ وَالهَجْرُ فِي الغُرفَةِ

قَالَ سُبْحَانَهُ:

﴿فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:"لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ "

ومِنهَا الصُّلْحِ ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾

وَجَعَلَتْ الشَّرِيعَةُ الإِسْلَامِيَّةُ الطَّلَاقَ آخَرَ الحُلُولِ وَجَعَلَتْهُ مُتَدَرِّجًا مِنْ ثَلَاثِ طَلْقَاتٍ

قَالَ تَعَالى:

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ بَلْ نَهَى الإِسْلَامُ عَنْ طَلَاقِ المَرْأَةِ وَهِيَ حَائِضٌ أَوْ حَامِلٌ أو فِي طُهْرٍ جَامَعَهَا فِيهِ لِيُضَيِّقَ مِنْ زَمَنِ الطَّلَاقِ وَلَمْ يُوقِعْ طَلَاقَ الْمُكْرَهِ وَلَا طَلَاقَ الغَضْبَانِ

لِقَوْلِهِ ﷺ:"لَا طَلَاقَ وَلَا عَتَاقَ فِي إِغْلَاقٍ"

كذلك من الحُلولُ النَاجِحَةُ للحدِّ من كَثْرَةِ الطَّلاقِ :

التمسُّكُ بِحُسنِ الخُلقِ والصَّبرُ فِي المُعَامَلَةِ بينَ الزوجينِ والنَّظرُ للإيجابِيَاتِ والتَّغَافلُ عن السّلبياتِ أو مُعَالجتِها بِحِكمةٍ قَدرَ الاستِطَاعةِ

ومنها تقويةُ الجانِبِ الإيماني عندَ الزوجينِ واستشعارُ الخوفِ منَ اللهِ ومراقبتِهِ وتذكُّرُ أجرَ الإحسانِ

ومنها استشعارُ الزوجينِ أنهمَا لباسٌ وسكنٌ ومودةٌ ورحمةٌ لبعضهمَا وأنهمَا من نفسٍ واحدةٍ ونظرُ بعضهمَا للآخرِ نظرةَ تقديرٍ واحترامٍ

ومنها تجنُّبُ الظلمِ من الزوجينِ وتذكُّرُ عواقبِهِ وأثرِهِ في الدنيا والآخرةِ

ومنها الحرصُ على أداءِ الحقوقِ والواجباتِ التي شرعَهَااللهُ لهمَا عَلى أساسِ العدلِ والإحسانِ

ومنها حرصُ الحكمينِ عند تدخلهمَا بينَ الزوجينِ المختلفينِ على تحقيقِ الإصلاحِ فيمَا بينَ الزوجين قدرَ استطاعتهمَا حتى يحصلَ التراضي والتوافقُ

ومنها نشرُ الوعيِ حولَ عواقبِ الطلاقِ وخطورتهِ ونتائجِهِ وسلبياتِهِ من خلالِ المنابر العلميَّةِ ومراكزِ التواصلِ الاجتماعي ومنابرِ الخطباءِ لتعزيزِ الاستقرارِ الأسريِّ في المجتمعِ

أحبتي في الله:

وإذا استحكمَ الشقَقُ بين الزوجينِ وكان لابدَ من الطلاقِ فيجبُ التأدبَ في إيقاعهِ. ومن تلكَ الآدب.

الأدبُ الأول:هو رعايةُ المصلحةِ في إيقاعهِ بعدَ التروّي والتحاكمِ إلى حَكَمين.

الأدبُ الثاني:إيقاعهُ في حالِ الخوفِ من عدمِ إقامةِ حدودِ الله، وذلك بأن تتضرَّر المرأةُ من الرجلِ فترى منهُ ما يسوؤها من قولٍ أو فعلٍ أو أمرٍ يستحيلُ معهُ صَبرها عليه.

الأدبُ الثالث: أن لا يكونَ القصدَ بإيقاعِ الطلاقِ مُضارَّةُ الزوجة.

الأدبُ الرابع:أن يُطلِّقَ لداعٍ لا يتأتّى معهُ اتخاذها زوجة، كأن يراها لا تردُّ يد لامسٍ، أو لا تؤمَن على مالٍ ولا سرٍّ، أو لا تحفظُ نظامَ بيتهِ ورعايةِ حرمته، أو لا تستجيبَ لطاعته، إلى غيرِ ذلكَ من الأخلاقِ الفاسدةِ.

الأدبُ الخامس:أن لا يطلق ثلاثاً دفعةً واحدة.

الأدبُ السادس: أن يُشهدَ على الطلاق.

الأدبُ السابع: أن لا يكونَ في حالةِ الغضب.

الأدبُ الثامن: أن يكون التطليق مأذوناً فيه من جهة الشارع، فلا يكون محرَّماً مبتدعاً، بل مأموراً به، فلايطلق والمرأة حائضاً أو حاملاً ولا يوقع الطلاق في طهراً جامعها فيه.

الأدبُ التاسع: التطليق بإحسان، لا بإساءة ولا فُحش مِن الكلام، ولا بَغْي ولا عدوان..

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله واحذروا من الاستخفافِ بالطلاقِ، والتلاعبِ به، وإيقاعهِ على غير وجهه الشرعي، قال تعالى في شأن الطلاق {وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا}

أحبتي في الله :

الطلاقُ مشكلةٌ أسريةٌ عظيمةٌ، بسببِهَا تفرقتْ الأسرُ، وتهدّمتْ البيوتُ، وضاعتْ الذريّةُ وتأخرُوا في التعليمِ والدراسةِ، وقُطعتْ الأرحامُ والصلاتُ، وكثُرتْ الآثامُ، وانعدمتْ الرحمةُ والشفقةُ عندَ كثيرٍ من الآباءِ والأمهاتِ، وانتشرتْ الجرائمُ في المجتمعِ، وكثُرتْ الأمراضُ النفسيةُ عندَ الأبناءِ والآباءِ والأمهاتِ، وتزعزعَ الأمنُ والاستقرارُ، وفي انحلالِ الزواجِ وسيلةٌ لزرعِ الكراهيةِ والنزاعِ والمشاجرةِ بينَ أفرادِ المجتمعِ خصوصًا إذا خرجَ الطلاقُ عن حدودِ الأدبِ الإسلامِي.

إنَّ الطلاقَ صدمةٌ، ولذلك يؤثرُ سلبيًّا على الصحةِ النفسيةِ والجسديةِ للمطلقين، حيثُ تتغيرُ مكانتُهُم الاجتماعيةُ مِن (متزوجٍ أو متزوجةٍ) إلى مكانةِ {مطلقٍ أو مطلقةٍ}،وهذا يعنِي أنَّ الطلاقَ يقللُ مِن المكانةِ الاجتماعيةِ لكلٍّ مِن الرجلِ والمرأةِ، حيثُ تتغيرُ نظرةُ الناسِ إلى المطلقين، ويفقدانِ الكثيرَ مِن أصدقائِهم ويعانيانِ مِن الوحدةِ ويتحملانِ تعليقاتِ اللومِ والفشلِ في الحياةِ الزوجيةِ، مِمَّا يجعلُهُم يعيشونَ على هامشِ الحياةِ الاجتماعيةِ.

لهذا فإنَّ إبليسَ يبعثُ جنودَهُ في الأرضِ، ويجعلُ الجنديَّ البارعَ – الذي فرقَ بينَ الزوجينِ وهدمَ الأسرةَ – أقربَهُم منهُ منزلةً. فعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ " قَالَ الْأَعْمَشُ: أُرَاهُ قَالَ: «فَيَلْتَزِمُهُ».

فعلينَا أنْ نتنبَّهَ لذلكَ، وأنْ نتذَكَّرَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: { وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا }. وقولَ الرسولِ ﷺ: «لَا يَفْرَكْ [أَيْ لاَ يُبْغِضْ] مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ».(مسلم). وكما قالَ الشاعرُ:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَصْبِرْ مِرَارًا عَلَى الْقَذَى ..... ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ

أحبتي في الله :

الطلاقُ أبغضُ الحلالِ عندَ اللهِ تباركَ وتعالى، وإنْ كان مشروعًا إلّا أنَّهُ مكروهٌ إلّا في أضيقِ الحدودِ كما قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه و سلم عن محمودِ بنِ لَبِيدٍ أنَّه قال: أُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثَ تَطْلِيقَاتٍ جَمِيعًا، فَقَامَ غَضْبَانًا، ثُمَّ قَالَ: أَيُلْعَبُ بِكِتَابِ اللهِ، وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، حَتَّى قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا أَقْتُلُهُ؟

*فانتبِهْ يامَن تريدُ الطلاقَ تمهلْ قليلًا تفكرْ كثيرًا قبلَ أنْ تقدمَ على هدمِ أسرةٍ بأكملِهَا يا مَن يريدُ الطلاقَ، إنْ كانتْ زوجتُكَ ساءَتْكَ اليوم، فقد سرَّتْكَ أيامًا، وإنْ كانتْ أحزنَتْكَ هذا العام، فقد سرَّتْكَ أعوامًا.

*يا مَن تريدُ الطلاقَ، صبرٌ جميلٌ فإنْ كانتْ المرأةُ ساءَتْكَ، فلعلَّ اللهَ أنْ يُخرجَ منها ذريَّةً صالحةً تقرُّ بها عينُكَ، قال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - في قولِهِ تعالى: (فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا).قال: هو الولدُ الصالحُ. فالمرأةُ تكونُ عندَ زوجٍ تؤذيهِ وتسبهُ وتهينهُ وتؤلِمهُ، فيصبرُ لوجهِ اللهِ ويَحتسبُ أجرَهُ عندَ اللهِ، ويعلمُ أنَّ معه اللهَ، فما هي إلا أعوامٌ حتى يقرَّ اللهُ عينَهُ بذرّيةٍ صالحةٍ، وما يدريكَ فلعلَّ هذه المرأةَ التي تكونُ عليكَ اليومَ جحيمًا، لعلَّهَا أنْ تكونَ بعدَ أيامٍ سلامًا ونعيمًا، وما يدريكَ فلعلَّهَا تَحفظُكَ في آخرِ عمرِكَ، صبرٌ فإن الصبرَ عواقبهُ حميدةٌ، وإنَّ مع العسرِ يسرًا

* يا مَن يريدُ الطلاقَ، تريَّثْ فيما أنتَ قادِمٌ عليه، فإذا أردتَ الطلاقَ، فاستشرْ العلماءَ، وراجعْ الحكماءَ، والتمسْ أهلَ الفضلِ والصلحاءَ، واسألْهُم عمَّا أنتَ فيه، وخذْ كلمةً منهم تثبتكَ، ونصيحةً تقويكَ.

* يا مَن يريدُ الطلاقَ، إذا أردتَ الطلاقَ، فاستخِرْ اللهَ، وأنزِلْ حوائجَكَ باللهِ، فإنْ كنتَ مريدًا للطَّلاقِ، فخذْ بسنَّةِ حبيبِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم؛ طلِّقْهَا طلقةً واحدةً في طُهرٍ لم تجامِعهَا فيه، لا تطلِّقهَا وهي حائضٌ، فتلكَ حدودُ اللهِ: ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ وإذا طلَّقتَهَا، فطلِّقْهَا طلقةً واحدةً لا تزيدُ، جاءَ رجلٌ إلى ابنِ عباسٍ رضى اللهُ عنه فقالَ: يا ابنَ عباسٍ طلقتُ امرأتِي مائةَ تطليقةٍ. قال: ثلاثٌ حُرمتْ بهنَّ عليك، وسبعٌ وتسعون اتخذتَ بها كتابَ اللهِ هزوا))، يَا مَنْ تُريدُ الطلاق تَدَرَّجْ فِي الْحَلِّ وَلاَ تَتَسَرَّعْ؛ فتندمْ وتخسرْ كثيرًا .

قالَ قتادةُ في تفسيرِ قولِ اللهِ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا، الميثاقُ الغليظُ الذي أخذَهُ للنساءِ على الرجالِ : إمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ. وقد كان في عقدِ المسلمينَ عندَ إنكاحِهم : " آللهُ عليكَ لتمسكنَّ بمعروفٍ أو لتسرحنَّ بإحسانٍ " .فحافظُوا على أسركُم وعلى بيتِكُم وعلى أولادِكُم مِن الضياعِ وتمهلْ كثيرًا قبلَ أنْ تنطقَ بكلمةِ الطلاقِ واعلمْ أنَّهَا كلمةٌ خطيرةٌ تفسدُ البيوتَ ولا تصلحُهَا وتدمرُهَا ولا تبنيهَا وتخربُهَا ولا تعمرُهَا، وأعلمْ أنَّ البيوتَ لا تخلُو مِن المشاكلِ والخلافاتِ فلو خلتْ البيوتُ من المشاكلِ الزوجيةِ لخلى بيتُ النبيِّ ﷺ، كان يقولُ كما في صحيحِ البخاري من حديثِ أمنَا عائشةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ : إِنِّي لَأَعْرِفُ غَضَبَكِ ورِضَاكِ "قالَتْ: قُلتُ: وكيفَ تَعْرِفُ ذَاكَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: "إِنَّكِ إذَا كُنْتِ رَاضِيَةً قُلْتِ: بَلَى ورَبِّ مُحَمَّدٍ، وإذَا كُنْتِ سَاخِطَةً قُلْتِ: لا ورَبِّ إبْرَاهِيمَ "قالَتْ: قُلتُ: أجَلْ، لَسْتُ أُهَاجِرُ إلَّا اسْمَكَ)

فالله اللهَ في الأسرةِ؛ لأنّ المحافظةَ عليها دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، اللهَ اللهَ في اتباعِ منهجِ اللهِ ورسولِهِ في المعاملةِ بينَ الزوجينِ، اللهَ اللهَ في كتمِ الغيظِ للمحافظةِ على الاسرةِ من الدمارِ والهلاكِ.

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى الْبَشِيرِ النَّذِيرِ، وَالسِّرَاجِ الْمُنِيرِ حَيْثُ أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ فَقَالَ فِي كِتَابِهِ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَاخْذُلْ أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا وَأَصْلِحْ أَئِمَّتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا وَارْزُقْهُمُ الْبِطَانَةَ الصَّالِحَةَ النَّاصِحَةَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَاجْمَعْ عَلَى الْحَقِّ كَلِمَتَهُمْ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا وَوَالِدِينَا عَذَابَ الْقَبْرِ وَالنَّارِ.

اللهم واحمِ بيوتنا من مكايدَ الشيطانِ وحبائله.

اللهم اصلح فسادَ بيوتنا واجعلها آمنة مطمئنة.

اللهم احفظ بيوتنا من شر طوارقِ الليلِ والنهار.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ يَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ